



ولد كمال عبد الفتاح رشيد في قرية الخيرية، من أعمال الرملة عام ١٩٤١م، وأخرج منها عام النكبة ليستقر وأهله في نابلس، وأكمل دراسته الثانوية فيها، وفي جامعة دمشق توفّر على الشهادة الجامعية الأولى في مادة اللغة العربية وآدابها.

عمل في الجزائر، في بداية عهد التعليمي، مدرّساً للعربية، وصقلته الغربية والخروج من مسقط الرأس، فضلاً عن حادث بسيط ترك في ساقه إعاقة خفيفة.

عمل أوائل السبعينيات في قسم الوسائل التعليمية التابع للمديرية العامة للمناهج التعليمية في وزارة التربية والتعليم، وأواسط هذا العقد تعرفت إليه، وكنت أعمل في معهد التأهيل التربوي لمادة اللغة العربية، وساعد قرب مكان هاتين المديرتين، في جبل الحسين، على استمرار اللقاءات التي توطدت واستمرت إلى حين مفارقتها هذه الدنيا.



كمال رشيد رفيق الدرب

«كمال رشيد شاعراً»

ولقد عشت معه اكتمال قصائد ديوانه الأول «شدو الغرباء». ففي عام ١٩٧٥ طلب إلى الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم، رحمه الله، أن يكتب مقدمته، ثم سافر إلى المغرب، للعمل معارفاً في مدارس الرباط، فكتبت في صحيفة الرأي الأردنية عن هذا الديوان، الذي يفيض في الحديث عن غربة المسلم وسط «الأيديولوجيات» المختلفة المعاصرة.

والحق أن كمال رشيد يعد في طليعة الناهضين بالشعر الذي يحمل الهوية الإسلامية في الأردن وفلسطين، لا يكاد يسبقه في ذلك



د. عمر الساريسي - الأردن

غير أمين شنار ويوسف العظم، رحمهم الله تعالى أجمعين. فكما قلت في كلمة نشرت في مجلة المشكاة المغربية عام ١٩٩٣، بعنوان «مقدمة لدراسة الأدب الإسلامي في الأردن»، أن الشعر الإسلامي، في الساحة الأردنية والفلسطينية، حمل رايته أولاً في الخمسينات أمين شنار ثم يوسف العظم في الستينات، ثم جاء جيل كمال رشيد في السبعينات ومنهم أحمد فرح عقيلان ومحمود مفلح وأحمد محمد صديق ومأمون

جرار، وفي الثمانينات استحال الشعر الإسلامي إلى
نهر عريض شديد الحضور، ومن أبرز فرسانه المهندس
صالح الجيتاوي وأبوفراس النطال في دواود معلا وغازي
الجمال ونبيلة الخطيب وأيمن العتوم.

ولقد كان شاعرنا، في هذا الديوان، يتفاعل مع
أحداث الأمة وأيام مناسباتها، وهذه هي وظيفة
الشعر الأولى أعني الغاية الاجتماعية، فهو يقول:

دعنتي للقصيد مناسبات

وأحداث صفعن القلب صفعا

فصرت موزعاً في كل أرض

وأوطاني غدت للخصم مرعى

وقضية فلسطين فرضت عليه وعلى غيره من أبنائها
هذا التفاعل والتسجيل.

وربما ينتقد بعض الناظرين في هذا الشعر الوضع
في الفكرة وفي الصورة، فيكون الجواب أن الأحداث
المعلقة في كل أمة تفرض هذا الشكل من الردود، ألم
يكن شعر الحروب الصليبية معنياً بمثل هذه الردود
على احتلال الفرنجة للبلاد العربية والإسلامية بهذا
الشكل.

أما ديوان الشعر الثاني
لكمال فهو «عيون في الظلام»
فقد نشرته دار المنار في
الزرقاء عام ١٩٨٤م،
وكانت تدور أغلب قصائده
على ما يجري في لبنان من
اقتتال بين اللبنانيين، لمدة
عقد ونصف، وحول قضايا
الأمة وتوجهاتها وأحداثها
ومواقفها من العمل
الإسلامي.
وهنا أيضاً يكون شعر

الشاعر مزماراً لأحداث بلده وأهله:

من تربة المجد من يافا وغوطتها

أتيت أحمل آلامي وأخفيها

خرجت منها صغيراً لا أنيس له

ولست أدرك ما الدنيا وما فيها

إنه يدون على التاريخ ملحمة التشرد عن الوطن
والتشتت في كل أرض.

والديوان الثالث سمّاه «القدس في العيون» وقد
صدر عام ١٩٩٠م، وقد قامت على طبعه دار الوفاء
للطباعة والنشر والتوزيع في المنصورة بمصر. وفي هذه
الأثناء اشتد جشع الأعداء الصهاينة بإحاطة القدس
بالمستعمرات والاستيطان الكثيف، ولذلك كان من
الطبيعي أن عيون الشعراء قد تابعت هذا التهويد وهذه
الأخطار المحيطة بقلبة المسلمين الأولى.

فليس غريباً أن تكون قصائده ألواناً من الجروح في
القلب الفلسطيني الذي يمثلها الشاعر من أحداث ما
يجري لهذه المدينة المقدسة، فهو يقول للشهيد في بلده:

وإذا القدس غدت قنديلنا

فلقد أصبحت للقنديل زيتا





على أن لا يفهم من هذا الكلام أن شعر كمال كان شعر مناسبات ليس إلا، مع ما يجر هذا الاتهام من مباشرة ووضوح. فهو يدرك أن للشعر رسالة ينبغي عليه أن ينهض لتسجيلها، وهي نداء دائم لا يرتهن بزمان ولا مكان:

أفيقوا أفيقوا

فقد بان منا الطريق

جهاد وإن طال فينا المدى

جهاد، ولا أن يعيش العدو بأرض

البطولة أرض الفدا

والذي أعرفه، من معرفتي لوالده، عليه رحمة الله، أنه تربى في أسرة محافظة على سميتها الإسلامي، وأعرف أيضاً أنه نقل إلى أولاده الالتزام بالإسلام عقيدة ونظام حياة.

«في الكتابة الإنشائية»

في ندوة أقامتها مؤسسة المؤتمر الإسلامي في عمان، عام ١٩٩٠م على الأغلب تقاسمنا الكتابة عن القدس في الأدب: كتب هو عن الشعر الذي قيل فيها في عصور التراث، وكتبت عن النثر الفني. أما إسهامه في الكتابة الأدبية ففيه ثراء وخصب.

فقد ألف كتاب «أشواق في المحراب» وهو مجموعة نثرية من الموضوعات التربوية الإسلامية أعدت وأخرجت في الإذاعة الأردنية.

وفي هذا الإطار الدعوي ألف كتاب «الأسرة المسلمة». وكذلك كتاب «جنى الإيمان»، ومن مؤلفاته أيضاً كتاب سماه «من عطر النبوة»، وهو يأخذ من حياة الرسول، عليه السلام، مواقف مشعة وهادية.



وهذا الطفل من أطفال الحجارة الذين هزّوا الدنيا في الانتفاضة الأولى سنة ١٩٨٨م، والثانية سنة ٢٠٠٠م، قد أرخوا لبلدهم أنصع تاريخ. ويحن الشاعر للقدس، بعد الأسر، حينه إلى جذوره التاريخية الأولى:

يا قدس تقنا إلى الساحات نلثمها

وكيف لا يعيش الإنسان أوطانا

يا حبذا جبل الزيتون من جبل

وحبذا أهله أهلاً وإخوانا

جذورنا في رحاب القدس ثابتة

وصخرة الحق تهواها وتهوانا

«أناشيدي»

ولقد ترك لنا كمال رشيد مجموعتين من الأناشيد الإسلامية، بعنوان «أناشيدي»، وقد كانت زاداً طيباً لأطفالنا وأطفال الآخرين في التفني بأمجاد الإسلام وأبطال الإسلام وملاحم العقيدة وأثرها في الحياة.

«في قافلة الأدب الإسلامي العالمية»

وحينما قامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٩٨٤م أصدرت لنا بطاقات عضوية تثبت انتسابنا إليها، وكان كمال وكنت من أوائل من صرفت لنا هذه

البطاقة، ممهورة بتوقيع أبي الحسن الندوي، الرئيس العام الأول لهذه الرابطة، من مكتبها في الهند.

ولا غرو فإن الشاعر كمال رشيد من أوائل من وقف إبداعه الشعري على الأدب الإسلامي منذ أن كان، أي كان كما كنت أقول له: أنتم صناع الأدب الذي يعيش عليه دارسو الأدب ونقاده ومتذوقوه، أنا وأمثالي.

«في مجال التربية»

والدليل أن هذه المدرسة قد أصابت توسعاً ظاهراً في عدد الصفوف الدراسية، وفي النتائج النهائية العليا التي توفر عليها خريجو الثانوية العامة فيها، وقد نقلت إلينا الأخبار مؤخراً، أن هذه المدارس قد حازت لقب السبق في الإدارة التربوية الناجحة، عن طريق جهة عالمية تعطي هذا اللقب.

لقد أعطى أبو بلال كل وقته للإشراف على كل شيء يتم في هذه المدارس، فنجحت أيما نجاح، ولكننا صرنا نلاحظ أن مشاركته في أمور الثقافة

والإبداع قد أخذت تقل، فلم يستطع أن يشارك في عضوية الهيئات الإدارية في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، فرع عمان، وفي كتابة الشعر الجديد لم يجد لديه متسعاً من الوقت للمشاركة فيه. وكان قد اختير مستشاراً في هيئة تحرير مجلة الأدب

الإسلامي التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض.

إن العمل الإداري يرخي على الإبداع ظلاً من الإهمال والتجاهل، في أحيان كثيرة، مع الأسف.

«إعلامياً»

على أن العمل الإداري في إدارة المدارس العمرية، قد ترك لأبي بلال هامشاً إعلامياً صغيراً، تبدى في تعليقات سياسية سريعة على صفحات جريدة الدستور، على الأحداث الجارية. وتحسب هذه الأوراق في حساب الإعلام وليس في صفحات الأدب. على أن أبا بلال شارك في عمل إداري أبرز، ألا وهو رئاسة تحرير صحيفة الرباط، وهي جريدة

وقد بدأ كمال عمله التربوي في قسم الوسائل التعليمية التابع للمديرية العامة للمناهج، وأذكر أنه قدم برامج إذاعية تربوية محلية ناجحة، كما تعاون في برنامج لاتحاد الإذاعات العربية لإنجاز برامج ناجحة أيضاً. وتعرف إلى الشاعر الفلسطيني حسن البحيري وعمل معه في عمان، في هذا المجال، وتعاون مع الإعلامي المصري الناجح جابر الشال في هذا الصدد.



وحينما عاد إلى مديرية المناهج، بعد العودة من العمل في المغرب، أسند إليه قسم إنتاج الكتب المدرسية، فنهض بالمهمة وقام بها خير قيام، ولم يكن معه من الموظفين إلا موظف واحد، وكان ينجز، في هذا المجال، ما أصبح يطلب من قسم كبير، فيه عدة موظفين فيما بعد.

«في الإدارة التربوية»

وحينما قامت جامعة الزرقاء الأهلية عام ١٩٩٥م، عمل في عامها الأول مسؤولاً عن المراكز التعليمية، ومنها مركز تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها. ثم ما لبث أن عين مديراً عاماً للمدارس العمرية، التي يملكها البنك الإسلامي الأردني. والحق أن أبا بلال (كمال رشيد)، رحمه الله تعالى، كان إدارياً تربوياً ناجحاً في إدارة هذه المدرسة، وذلك طوال سنوات خدمته فيها، منذ عام ١٩٩٦ إلى حين مفارقتها هذه الدنيا، عام ٢٠٠٨م.



هناك مادة اللغة العربية، لكن مدة الإعارة، للعمل هناك، انتهت قبل أن يناقش موضوع رسالته «الزمن النحوي في العربية». وكان هذا يقض مضجعه حينما عاد للعمل في الأردن، وما زال يتحين الفرص حتى فرغ منه، وكان في أصله مسنداً لأستاذ العربية المشهور كمال بشر.

وقد سجل موضوعاً جديداً لنيل درجة الدكتوراة في الآداب في قسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية، هو «الترادف في القرآن الكريم». وقد أبدى بعض أصدقائه ومعارفه استغراباً للبحث في هذا الموضوع، وكل مفردة في آيات الكتاب الكريم لا تسد عنها أختها، مهما كانت قربانها منها في الجذر أو في المعنى.

وكانت كلمة أستاذنا الدكتور عبد الكريم خليفة فاصلة في هذا المجال، وهو عضو المناقشة الأيمن، وقد ترك المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد للباحث حرية إدارة البحث بالوجه الأكاديمي الجاد.

ولدى حضورنا المناقشة تبدي لنا أن أبا بلال يدرك جميع أبعاد الموضوع، ويؤكد أن للترادف في القرآن الكريم مقاربات وأشكالاً مقنعة، في نطاق البحث العلمي الهادف.

«في العلاقات الاجتماعية»

وربما كان أكثر ما كان يحبب الناس في أبي بلال تلك الروح المرحية التي لا تفارق محياه الباسم. ويشهد شقيقه أننا ما التقينا إلا كان السرور والجدل يملأ الوقت كله علينا، ويشهد صديقنا المشترك محمد شعبان أن ليس في قلب كمال ذرة من كبر، وأمر القلوب إلى الله سبحانه وتعالى، وأن المودة واللفظ كانا مما يلقي بهما الناس جميعاً، حتى كان حادث السير المؤسف.

رحمة الله وبركاته عليك يا أخي يا رفيق الدرب، وإلى جنائن النعيم ■

تنتقل من الاتجاه الإسلامي في السياسة والحياة والمجتمع. ولقد ظل في هذا المركز عامين اثنين، استطاع أن يثبت وجوده ويملاً مركزه، وإن لم يكن هذا المسار هو الذي أهل له وأعد من أجله.

«في الفريق الوطني»

وحينما اتجهت وزارة التربية والتعليم إلى تأليف الكتب المدرسية لجأت إلى تكليف مؤسسات أكاديمية بالقيام بهذه المهمة، فواحدة لتأليف كتب اللغة العربية، وأخرى لكتب الاجتماعيات، وثالثة لمادة اللغة الانجليزية، إلى آخره. وللإشراف على هذا العمل المؤسسي اتخذت مؤسسات أخرى للإشراف على هذا التأليف، وشكلت من بين موظفيها المؤهلين، وعلمياً ومسلحياً، من ينتظم في هذه المؤسسات الإشرافية.

فعهدت الوزارة إلى مجمع اللغة العربية بتأليف كتب اللغة العربية لصفوف التعليم الأساسي ولسفوف التعليم الثانوي. وشكلت الفريق الوطني للإشراف على تأليف كتب اللغة العربية برئاسة الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن، رحمه الله. ثم نقل الإشراف إلى مجمع اللغة العربية الأردني. فدأب الفريق برئاسة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، أطال الله في عمره وأحسن إليه، على الاجتماع لمدة أربع أو خمس سنوات من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٤م، أقول دأب الفريق على عقد الاجتماعات لهذا الغرض في قاعة اجتماعات المجمع، وكان أبو بلال عضواً بارزاً له حضور بين في المناقشات، التي كانت تجري في هذه الاجتماعات، وكان شيخنا وأستاذنا جميعاً الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة يحب كمالاً ويستمتع إليه ويدينه منه، وحينما دعي للمشاركة في مناقشة بحثه لنيل درجة الدكتوراة، وافق ولم يتردد.

«في الدراسات العليا»

سجل أبو بلال موضوعاً لنيل الدرجة الجامعية الثانية (الماجستير) في المغرب الشقيق، وهو يدرس